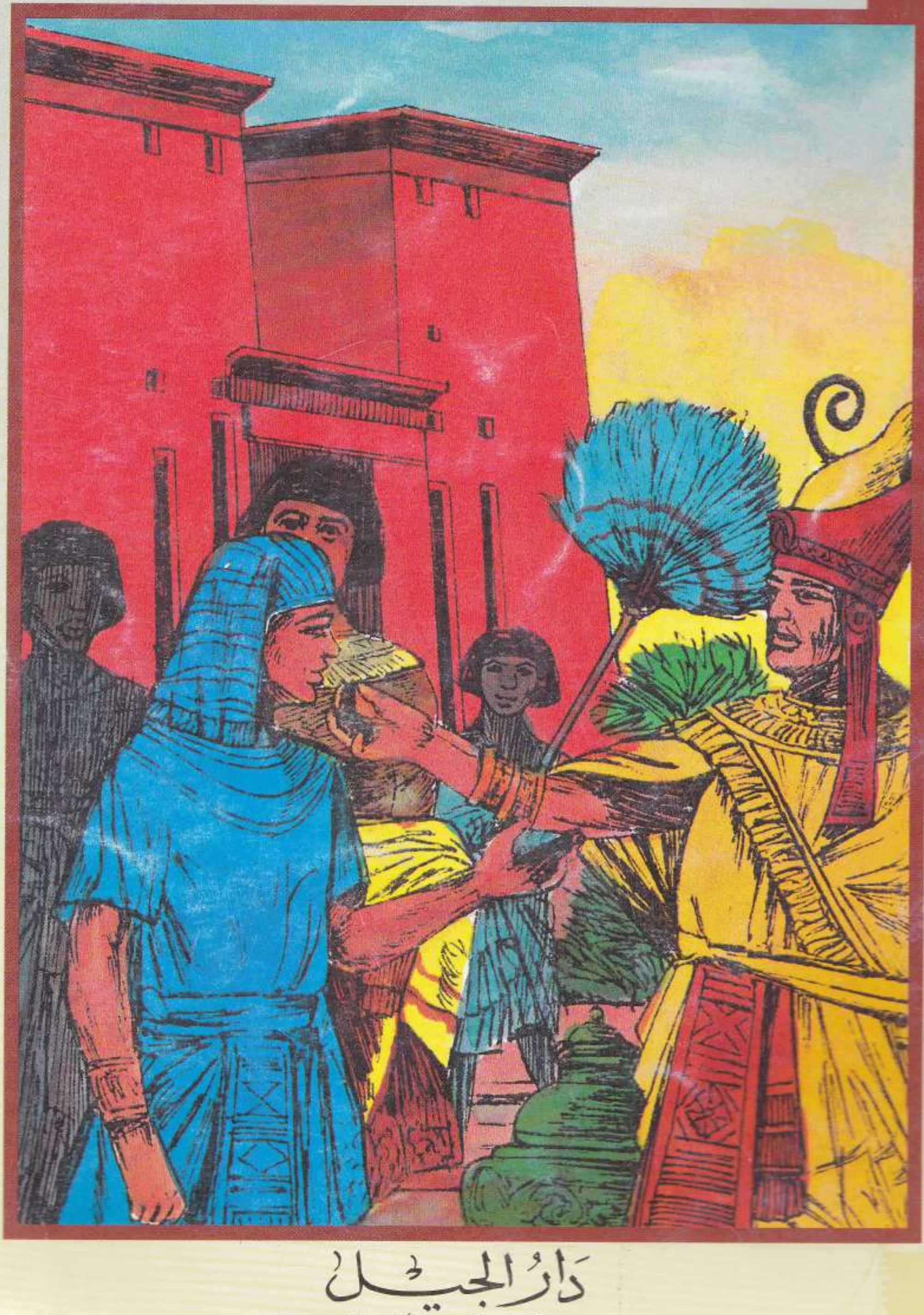
سِلسِلة
حِكايات
السَّمَر
٣

زكريّا كايا

بَلاغةُ فلّاح



دَارُ الجيل
بيروت - القاهِرة

سلسلة
حكايات
السمر
(٣)

بلاغة فلاح

تأليف ورسوم

زكريا كايا

دار الجيل
بيروت - القاهرة

بَلاغةُ فلّاح

في قديمِ الزمانِ وسَالفِ العَصرِ والأوانِ، وفي زمنِ الفَراعِنة، كانَ يعيشُ في قَريةٍ تقعُ في وَسَطِ دِلتا نِهرِ النيل، فلاَّحٌ اسمُه «سختي»، كانَ يعملُ في تِجارةٍ مُتواضِعةٍ، يَكسبُ منها رِزقَه ورِزقَ عَائلتِه. يحملُ مُنتجاتِ قَريتِهِ والرِيفِ الذي مِن حَولِها إلى ناحية «حنين ستين» القريبةِ، فَيبيعُها في أسوَاقِها، ويَشترِي بأَثمانِها سِلَعًا وبَضائعَ تَحتاجُها قَريتُه والريفُ المُحيطُ بها. وكان «سختي» قانِعاً بمَا يَكسِبُ ويَعيشُ هَانِئاً سَعيداً في كَنَفِ أُسْرَتِه الصَغيرة.

وكان «سختي» يملُكُ ثَلاثةَ حَميرٍ هي كلُّ رأسَمالِه يَستخدِمُها في تِجَارتِه.

وفي أحَدِ الأيَّامِ خرجَ سختي **مُيمِّمًا شَطْرَ** «حنين ستين» على جَرْيِ عَادتِه وقَد حَمَّل حَميرَه أحمَالاً وَافِرَةً مِنَ النطرونِ



والمِلحِ ومنَ **الأسلِ** وحُبوبِ نَباتِ **البَسِيلَة** وبَعضاً مِنَ الحَطَبِ وَسِواه، وقد شَقيَ في تَوفيرِها كمَادَّةٍ لتجارَتِه، وطافَ في سَبيلِها أَرجاءَ الريفِ من أقاصِيها إلى أَدَانِيها لأنَّه يعلَم بأنَّ هذِه الأصنافَ تَلقَى رَوَاجاً في أسواقِ نَاحِيةِ «حنين ستين».

وسَار سختي يَدفَعُ حَمِيرَه أمامَه حتَّى صَار على مَشارِفِ تلكَ الناحيةِ فطَالعَه مَمْشىً ضَيِّقٌ عُبِّدَ عَلى طُولِ **الترعَة المَائيَّة**، وقد كانتِ الطريقَ الوَحيدةَ التي تربُطُ بينَ قَريتِهِ وناحِيةِ «حنين ستين».

فَاعترضَه رجُلٌ كانَ هُناك بصِفَةٍ رَسمِيَّةٍ ويدعى «حمتي».

وكان حمتي مُوظَّفاً في خِدمة والي تلكَ النَاحيةِ الذي كانَ يَملِكُ الأرضَ بحقُولها ومزَارِعها وحتَّى بِتُرَعِهَا.

وكان حمتي مُكَلَّفاً بجَمْعِ الضَرائبِ وَانتزاعِ الأَموَالِ التي تَفْرِضُها الدولةُ على مُزارِعي وفلاَّحِي وعَطَّارِي تلكَ المَنطقة. وقد كانَ رَجُلاً مُحِبّاً للمَالِ وجَشِعاً وخَسِيساً يفعلُ أيَّ شَيءٍ

في سبيلِهِ، ويَسلُكُ أيَّ مَسلَكٍ مهما كان مُنكَراً وحَقيراً في سبيلِ تَحقِيق غَاياتِه. وكانَ أكثرَ ما يُزعَجُهُ ويَكْرَهُهُ كَرَهاً عميقاً هُو الصِدقُ في الكلامِ والإنصافُ في المُعَامَلَة، لأَنَّهُ كان يَجنحُ دائماً إلى النِفاقِ والكَذِبِ ويَهوَى الاستبدَادَ والظُلْمَ.

وعندما لاحَ له سختي وهو يَدفَعُ حَميرَه أمامَه استبشَرَ بِضَالَّةٍ سَمينَةٍ، وضَرَبَ كَفّاً بكفٍّ اغتِباطاً وحَدَّثَ نفسَه قائلاً:

- إنّها العناية الإلهيَّة هي التي شَاءَتْ أن تَسُوقَ إليَّ هذا المُغَفَّلَ لأَسلُبَهُ حَميرَه وبضائِعَه غَنيمةً بَارِدَةً، لا يكلِّفني عَناءَ أكثرَ من حيلةٍ تُلبِسُه جُرماً مُحْكَماً ولا يَقْوَى على الخلاصِ مِن حبَائِكِهِ مَهما فعلَ.

كانتِ الطريقُ الريفيَّةُ الضَيِّقَةُ في جانبٍ منها تُشرِفُ على حَرفِ التُرعة التي تَجري في سَريرِها مياهُ نهرِ النيل، وفي الجانب الآخرِ مُحاذِيَةً لحقلِ سنابلِ قمحٍ ناضِجَةٍ يَملِكُهُ الوَالي سيّدُ حمتي، وقد أُتخِمَتِ السنابلُ من السقاية فتطَاولَتْ عالياً

في عنانِ السَمَاءِ، وتَرَاصَّتْ أَنصَابُها بَعضاً إلى بَعض، وَأَثقلَتْها حُبوبُ القمحِ فأمَالَتْ بأعناقِها لناحِيَةِ الطَرِيق، وأنضَجَتْها شَمسُ حزيرانَ فَلوَّنَتْها بلَوْنِ الذَهَبِ وقَد صارَتْ جاهزةً للحصادِ.

ورَدَتْ إلى مُخَيَّلَةِ حمتي الماكرِ فكرةٌ انشَرَحَ لها صَدرُه وانفرَجَتْ أسَاريرُه الحَادَّةُ الشِرِّيرَةُ، فالتفَتَ نحوَ دارِه القَريبةِ وصرَخَ بأعلَى صَوتِهِ يقولُ:

- عَلى عَجَل! هيّا أحْضِرُوا إليّ بَعضَ الشَراشِفِ والمُطَرَّزاتِ، ومن نَفس القُمَاشِ، إليَّ به بأَقصَى ما تَستَطِيعُونَ مِنَ السُرعَة!.

أذعنَ الخَدَمُ لأوامِرِهِ، وأسَرَعُوا وأحضَرُوا له ما طَلَبَ، من القُماشِ فنشَرُوها على عَرْضِ الطَرِيقِ الرِيفيَّةِ التي يَتَحَتَّمُ على سختي وسِواه المرورُ عَبْرَها في ذِهابِهِ وَإيابه مِنَ القَريَةِ إلى المَدِينَةِ ومن المَدِينَةِ إلى القَريَةِ، وليسَ مِن طَرِيقٍ سِوَاها.

سَدَّتِ الشَراشفُ والمُطَرَّزاتُ والقُماشُ عَرْضَ الطريقِ وتَدَلَّى طَرَفٌ مِنها عَلى مُنحدَرِ ضِفّة التُرعَة، فيما غَطَّى الطرَفُ الآخرُ المَمَرَّ بكامِلِ عَرضِه إلى حُدُودِ حَقْل السَنَابلِ الذَهبيَّة.

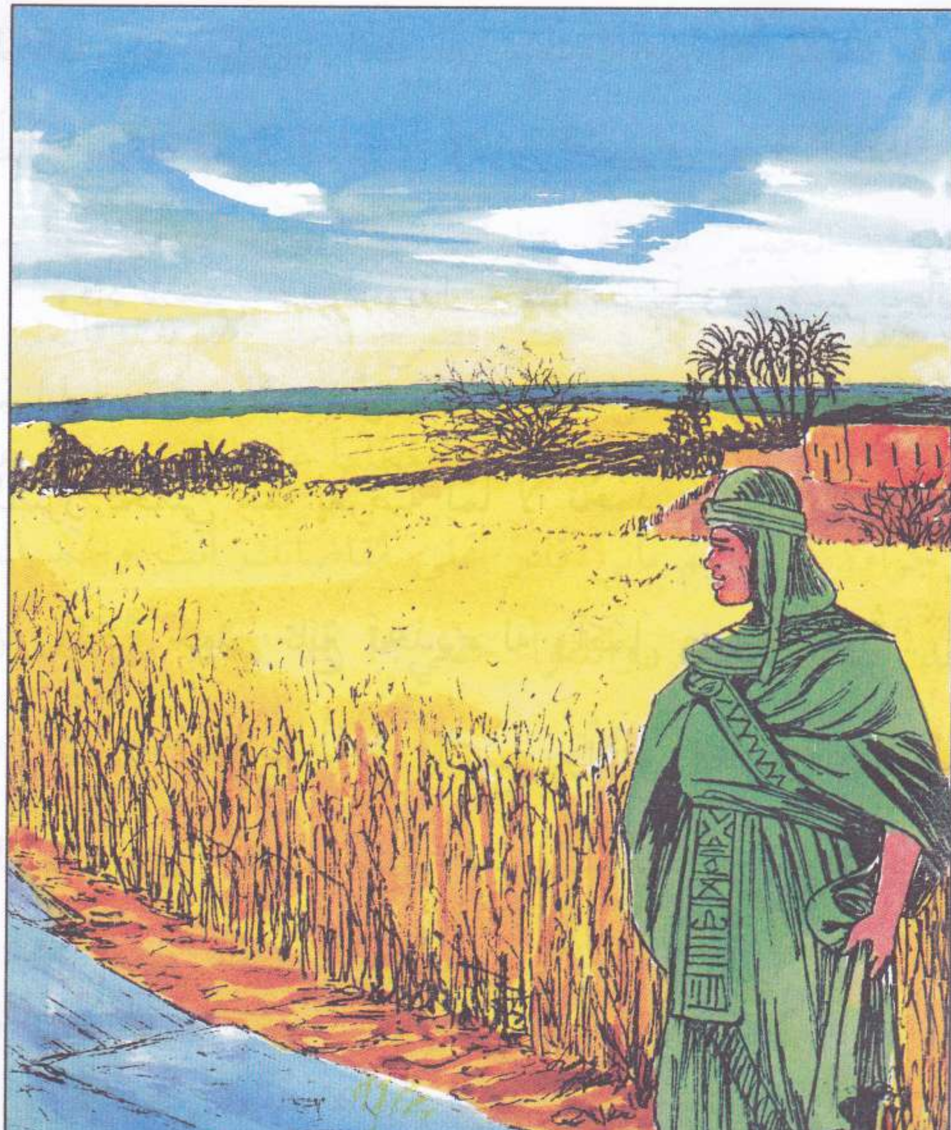
وربِضَ حمتي خلفَ شَراشِفِهِ وقُماشِه ومُطَرَّزاتِه يراقبُ سختي وهو يتقدَّمُ نحوَه غافلاً عمَّا يُدبِّرهُ له من **مَكيدةٍ** شَيطانية.

وعندَما صَارَ سختي أمامَ الشراشفِ والمُطرَّزاتِ المنشُورَةِ صاحَ حمتي به مُفتَعِلاً الغضَبَ قائلاً:

– هيه!. أنتَ الذي تسوقُ الحمِير! احرِصْ على ألاَّ تدوسَ حَوَافِرُ حَميرِك القَذِرَةُ نفيسَ قُمَاشي وتُتْلِفَهُ!..

رَدَّ سختي وَهو يَستَطْلعُ الطريقَ والشَراشِفَ والأَقمِشَةَ المنشُورةَ على عَرْضها وقال:

– سوف أبذُلُ قُصارَى جَهدي، يا سيدي، وأسيرُ بحَذَرٍ شَديدٍ لأتجنّبَ، حَميري وأنا، إلْحَاقَ أيِّ ضَرَرٍ بقماشِكَ.



ولكنَّك، يا سيِّدي، أنتَ لم تَترُكْ أمامِي إلاَّ مَجَالاً ضَيِّقاً جِداً، بالكادِ يتَّسِعُ لِمُرُوري وَمُرُورِ حَميري بِطَرَفِ حَقلِك!.

وقاد سختي حَميرَه وبَذَلَ جَهداً مُضنِياً وهو يَسيرُ بجانبِ السَنابلِ، حتَّى لا يمسَّ سَنابلَ الحَقلِ بسُوءٍ، وَلا يَتَسَبَّبَ بالضَرَرِ لحمتي مِمَّا يُعَرِّضُه لِمَا لا **تُحْمَدُ عُقباه**.

ولكنَّ حمتي تابَعَ تَحذيرَه له وأكمَلَ صياحَه يقولُ:

- ابق خَارجَ حقلِ القمحِ والتَزمِ الطريقَ وحَسْبُ، فالممَرُّ الذي أمامَك يَكفي لمرورِك أنتَ وحميرك بيُسْرٍ، واحْذَرْ إلحاقَ الضررِ بمَحْصُولي.

رَدَّ سختي وقَد تصبَّبَ العرقُ على جَبينه وقال:

- أنا أبذلُ قُصارَى جَهْدي يا سَيِّدي لأُجَنِّبَ حَميري دَوْسَ سنابلِ حَقلِك، ولكنَّ قُماشَكَ قدِ احتَلَّ مُعظمَ الطريقِ وجَعَلَ مُهِمَّتي صَعبةً لِلغاية.

وكانَتْ أَنصابُ القَمحِ الناضجةُ تتمايَلُ تحتَ الأنسَامِ الخَفيفةِ فتَنْحَني عَلى جَانبِ الطَريقِ تارةً وتعتدلُ طَوراً، فأغرتِ الحَميرَ الثلاثةَ بتناولِ حَفْنةٍ قَدْرَ قَضْمَةٍ وراحَتْ تَزْدَرِدُهَا، فثارَتْ ثَائِرَةُ حمتي فصرَخَ بأعلى صَوتِه وقال:

– لقد عَبَثْتَ بحَقْلي! ألستَ مُطَّلِعاً على القوانينِ المرعيَّةِ الإجراءِ؟ ألا تعلمُ بأنِّي قَادرٌ عَلى مُقَاضَاتِكَ أنتَ وحميرِك، وقد أكَلُوا سَنابلي وأَتلفُوا حَقلي؟! ألا تعلمُ بأني سَوف أُحَمِّلُكَ كُلْفَةَ جَميعِ الأَضرارِ وفقاً للقَوَانِينِ المرعِيَّةِ الإجرَاء!

فردّ سختي وقال:

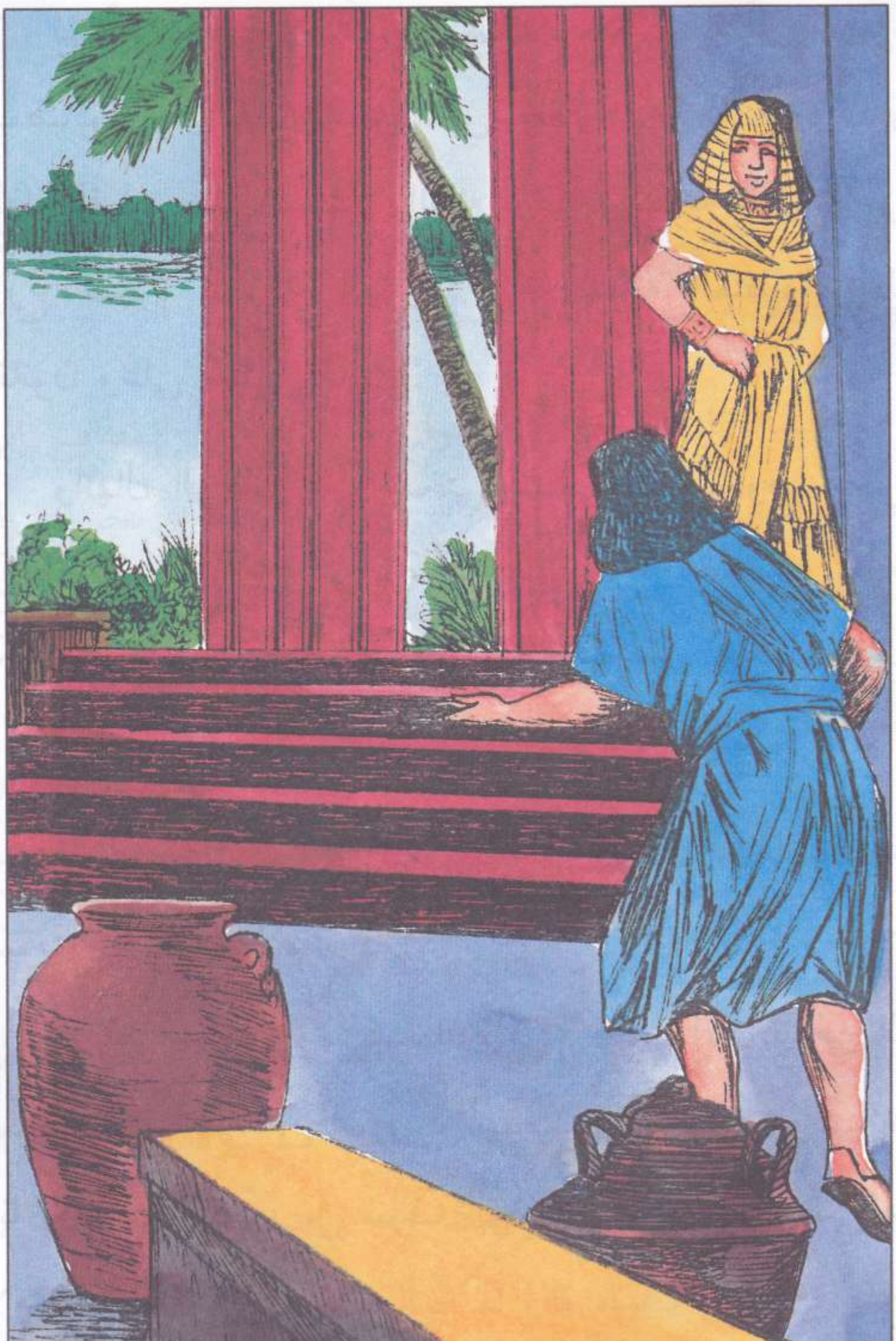
– أنا كُنتُ حَرِيصاً جِداً عَلى أن أَتجنَّبَ إلْحاقَ أَيِّ ضَرَرٍ بحَقلِكَ، وقد بذلتُ دونَ ذلك جُهداً بَالِغاً. وَلكنَّك بِنَشْرِكَ قُمَاشَكَ، قد ضيَّقتَ الممرَّ إلى القدْرِ الذي باتَ معه ليس بمقدُوري إلاّ المرُورُ بحَافَّةِ حَقلِ سنابِلِكَ لأَتجنَّبَ، حميري وأنا، دَوْسَ قُماشِك. وقد باتَ يَصعُبُ عليَّ جداً، والحالُ

هذه، مَنْعُ الحميرِ مِن قَضْمِ بعضٍ منَ السنابلِ المُنْحَنِيَةِ والتي صَدَمَ بعضُها آذانَها الطويلةَ ومقدَّمَ رؤوسِها!

أنا أعلمُ بأنَّ مالِكَ هذا الحقلِ هو الوالي عينُه، وهوَ **سَمُوعُ الكَلمَةِ** لدَى مَوْلانا الفرعونِ، وأنتَ مُدبِّرُه في هذه الناحية رَسمِياً، والوالي هَذا هُو الذي يُقاضِي كلَّ اللصُوصِ وقُطَّاعِ الطُرُقِ والمُتَجَاوِزين والذين يَعْتَدُونَ على المُمْتَلَكَاتِ وبخَاصَّةٍ على مُمتَلَكَاتِهِ، وقطعاً لَن أكونَ أحدَهم، وأنا أعبُرُ أملاكَه وعلى مَرآى من مُوَظَّفِهِ.

فاستَبدَّ الغرورُ برأسِ حمتي وقد تجاوَزَ عَمداً الحقيقةَ التي أخذَتْ مُجرياتِها أمامَه فَاتّهمَه زُوراً وصرَخَ يقولُ:

- لقد تجاوزتَ القانونَ وَاعتدَيْتَ على المُمْتَلَكَات، وأنا هَهنا أُمَثِّلُ القانونَ والدولَةَ، وأملكُ كَافَّةَ صَلاحِيَّاتِ الوَالي، وما أُقرِّرُه يُنفَّذُ في الحالِ، لأنَّ كَلمتي هي المَسْمُوعةُ لدَى المَرَاجعِ المُخْتَصَّةِ، ولَن يلتفتَ أحدٌ إلى شَهادَةِ فلاَّحٍ وَضيعٍ مِثلِكَ.



ثمَّ أمرَ حمتي رجالَه بالإمسَاكِ بالحَميرِ الثَلاثَةِ وَحَجْزِها وبمُصَادَرَةِ حُمُولِها وإيداعِها في مَخَازِنِه. كما ألحَّ عليهم بإلقاءِ القَبضِ على سختي وإلقائِهِ أَرْضاً وإشبَاعِه ضَرْباً بأعوادِ فُروعِ شجرةِ الطَرْفاءِ الطريّة جَزَاءَ كلماتِه المتطاولةِ على القانون وعلى مُمَثِّلِ القانُون.

وانهال الرِجَالُ على سختي يُشبِعُونَه ضَرْباً وهو يصرخُ منَ الآلامِ المُبرِّحَةِ التي أَصَابَتْهُ مِن جرَّاء الضَّرْبِ، وأخذ يَبكي ويُولوِلُ ويتأوَّهُ بِصَوْتٍ عَالٍ. فنَهَرَهُ حمتي بغضَبٍ وقال:

- إخْرَسْ! وإلاّ أَرسلتُك إلى عَفَارِيتِ جَهَنَّم!

قال سختي بنبرة حَزينةٍ وبصَوْتٍ **متهدِّلٍ** أشبهَ بِحَشْرَجَةِ المَوْتِ من شِدَّةِ آلامِه وقال:

- لقد ضَربتَني وسَرقتَ بضَائِعي، وأنتَ الآنَ تسعَى إلى سَلْبي صَوْتي مِنِّي!. فإنْ أنتَ أَعَدْتَ إليَّ حَميري وبضَائِعي فأنا لن أصرخَ بَعْدُ، بل سوفَ ألوذُ بالصَمتِ عَمَّا لَحِقَني مِن آلامِ عَلى يَدِ زَبَانيَتِك!.

ضَحكَ حمتي مِلْءَ شَدْقَيْهِ هازِئاً بأقوالِ سختي، ورَافِضًا أن يُعيدَ له بَضَائِعه، فكيفَ بحميرِه الثَلاثَة؟!.

جرَّ سختي أذيالَ الخيبةِ، وعزَمَ على مُقاضاةِ حمتي لدى الوَالي، فتابعَ سيرَه باتِّجاه المَدينة.

وفيمَا كانَ مارّاً في الشَوارع، انتهَى بهِ المَطافُ إلى جانبِ النَهر. لمحَ الوالي يخرجُ من دَاره ويتوجَّه نحو زَورقِه لِيَستَقِلَّهُ، فأسرَعَ نحوَه عَلى عَجَلٍ وَارتمَى تحتَ قَدَمَيهِ وهتَفَ يقول:

- العدلَ يا سَيِّدي! امنَحْني العَدلَ وَاقتصَّ لي مِن خَصْمي الذي اعتَدَى عليَّ وسرَقَني وتناوَلَني بالضَرب المبرِّحِ وَحَقَّرَني دونَ مبرِّرٍ شَرْعي...

فالتفَتَ الوالي نحوَ سختي وطلبَ منهُ أنْ يَسْرُدَ أَمامَهُ تفاصيلَ دَعْواه. ففعلَ ذلكَ بحَمَاسٍ كَبيرٍ وقد أَمِلَ بجَزاءٍ عادِلٍ. فيما كَانَ الوالي يُنْصِتُ إليه باهتمامٍ بَالغ. وبعدَ أن فَرَغَ من عَرْضِ دَعْوَاه قال لهُ الوالي:



- هَيِّىءْ يا بُنَيَّ دَعْوَاكَ وَاحضَرْ إلى دارِ القَضَاءِ في غَداةِ الغَد.

ثم مالَ إلى خَدَمِهِ وأمرَهُم بأن يُؤَمِّنُوا لسختي طَعاماً وَمَأْوَى. ومَضَى إلى حَالِ سَبيلِهِ وسرَى به زورقُه مُبتَعِداً من الضَفَّةَ حتَّى غابَ.

وفي اليَومِ التَالي حَضَر سختي إلى دَار القَضَاءِ فرَأَى الوَالي مُتَصَدِّراً دارَ المَحْكمةِ فوقَفَ بكثيرِ من الإجلالِ أمامَه. وعندما أذِنَ له بالكَلامِ قال:

- سَيِّدي الوَالي! يا عظيمَ العظماءِ ودليلَ المحيَّرِين والمُحتَاجِينَ، لِيُرَافِقْكَ دُعَائي الصَادقُ أينَمَا توجَّهتَ وَيَحرُسْكَ مِنَ الأخطار! لك أن تُبْحِرَ في أيِّ اتِّجاهٍ آمِناً بلا خَوْفٍ ولا وَجَلٍ، وأن تُملأ شِباكُك بالأسمَاكِ دونَ عناءٍ، وأن تُجرَّ المياهُ العذبةُ رَخصاً إلى حيثُ تشاءُ وكمَا تشَاءُ.

فأنتَ أنتَ أبو اليَتَامَى والأيامَى والأراملِ، وسَلوانُ الحَزَانَى ورَجَاءُ الإخوةِ الصِغَارِ الذين فَقَدُوا مُعيلَهم.

دَعْني أرفَعْ إليكَ دُعاءَ شُكرِ الأرض التي نَشَرْتَ عليها الفضِيلةَ، أيّها المرشدُ الحكيمُ، بلا جَشَعٍ ولا طَمَعٍ. يا عَظيماً أمَالَ ميزانَ العَدالةِ إلى جِهةِ **الإنصاف**. يا أميراً يَنْصِتُ بتَواضُعٍ إلى أبسطِ رَعاياه ويَنْصُرُهُم أمامَ الأقوياءِ وجَبَرُوتِهِم، وتَنْزِعُ حُقُوقَهم من بَرَاثِنِ المستَبِدِّينَ المتجبِّرِينَ.

دَعْني أَتكلَّمْ أَمَلاً في أن أنالَ العَدلَ والإنصافَ على يدَيْكَ، فتضعَ بنفسِكَ حَدّاً للظُلمِ الذي لَحِقَني، أيُّها العادل؛ وتُعيدَ لي ما سُرِقَ مِنِّي ظُلْماً وَبغَيْر وَجْهِ حَقٍّ، بل **بمَكِيدَةٍ** مَاكِرَةٍ وخَبيثةٍ دافِعُها الجشَعُ والأَنَانِيَّةُ، وسَنَدُها استغلالٌ للوَظيفَةِ الرَسمِيَّةِ، ومَادَّتُها التحَايلُ عَلى القانون!.

وأكمَلَ سختي خُطابَه ببلاغةٍ نادرَةٍ أَدهَشَتِ الوَالي الذي حَرِصَ على تدوينِ كُلِّ كلمةٍ فاهَ بها سختي البليغُ، وقال:

- يا بُنَيَّ! لقد وضعتُ يَدي على دَعواكَ لأهميَّتِها بالنِسبةِ للعَدْلِ في هذا البلدِ، ولسَوفَ أدرُسُها بعنايةٍ؛ فَطِبْ نفساً.



ثمَّ أمرَ خدَمَهُ، كما فعلَ سابقاً، باستبقاءِ سختي في ضِيافَتِهِ والاهتمامِ بطعَامِهِ ومَبيتِه حتَّى اليوم التالي.

وَمَضَى من فَوْرِه إلى قَصرِ الفرعونِ وقد كانَ يُدعى آميناَمحات الثالثَ الابن الثاني لسين أوسرات الكَبير.

وبعدَ أن قَدَّمَ له فُروضَ الطَاعةِ وفقاً للمَراسمِ المَرعِيَّةِ، وَاستأذَنَهُ في الكلامِ فقال:

- مولايَ! ليَتَعَزَّزْ سُلطَانُك، وَلْتَغْمُرْكَ البهجةُ، وَلْتَنْعَمْ بِعَافِيَتِكَ سَعيداً؛ لقد وقَعْتُ على فلَّاحٍ مصريٍّ بسيطٍ من جِوارِنا اسمُه سختي تفوَّهَ أمامِي بعباراتٍ بَليغَةٍ يَعجِزُ عنها كِبارُ أُدبائِنا، وقد أدهَشَني كَلامُه إلى الحَدِّ الذي لم أَتَمَالَكْ مَعَهُ نَفسِي من الإسراعِ إليكَ والمُثُولِ بين يَدْيك وإِسمَاعِك الخِطابَ البَليغَ.

وجلُّ ما في الأمرِ بأنَّ الرجُلَ قد وَقَعَ ضَحِيَّةَ أحدِ مُوَظَّفينا الصِغارِ، فاعتَدَى عليه وسَلبَه حَميرَه الثلاثةَ والبَضائعَ التي يَتَّجِرُ بها وهي مَصدرُ قُوتِه وأقصَى ما يَملِكُ.

ولكنّي لم أشأْ أن أفصِلَ في الأمرِ قبلَ الرُجُوعِ إليكَ وإسماعِكَ خِطابَه البَليغَ، والوقُوفِ على رَأيكَ.

ثم تَلا الوَالي عَلى مَسامِعِ فرعون الخِطابَ وتَعمَّدَ قراءَتَه قِراءةً مَسْرَحِيَّةً، فلم يَتَمالَكِ الفرعونُ نفسَه وضرَبَ بالتقاليدِ المَلَكيَّةِ عَرضَ الحَائِطِ ورَاح يُصَفِّقُ، وقَد سَحَرَتْه عِباراتُ سختي البَليغةُ والتي هي آيةٌ من آياتِ البلاغةِ والحِكمةِ، وهتفَ قائلاً:

- قَطعاً! لم يَسْبِقْ لي أن سَمعتُ مثلَ هذهِ العِبَاراتِ البليغَةَ في الثَنَاءِ. لقد فَعلتَ حَسَناً بأن أَسرَعْتَ إليّ، فلا تتسرَّعْ في الفَصْل في الدَعوى، وَاجتهِدْ أن تحصُلَ منه على أكثرِ مَا عندَه مِن مثلِ هذا الكلامِ الرَائعِ، وَابذُلَ قُصَارَى مُستطاعِك دونَ ذلكَ حتَّى تَفرَغَ منه بديهتُه **الفذَّة**. وَاحْرِصْ على تَدوينِ كلِّ كَلمة يتفوَّهُ بها. فأنا سَوفَ أكونُ بانتظارِكَ كلَّ ليلةٍ على أَحَرَّ من الجمر.

وهكذا صارَ الوالي **يُماطِلُ** في النَظَر بالقضِيَّة ويُشغِلُ سختي بأمُورٍ تدفعُه لأن يُمْطِرَه سيلاً مِنَ العباراتِ البليغةِ التي يُثني بهَا على الوَالي وعَلى الفرعونِ أحسنَ آياتِ الثناءِ.

وفي كل ليلةٍ كانَ يَجلِسُ الوالي إلى الفرعونِ ويَسرُدُ أمامَه تفاصيلَ ودقائقَ جُمَلِ وعبَارْاتِ خِطاباتِ سختي البَليغةِ. والفرعونُ متعجِّبٌ من هذهِ الصِياغَةِ الرَائِعَةِ التي تَخرجُ مِن فَمِ فَلاَّحِ مصريٍّ بسيط؟!.

وكانَ في كلِّ ليلةٍ يُوصي الواليَ بالإكثار مِنَ انتزاعِ بليغِ الكلامِ من سختي، كما يُلحُّ عليه بأن يتأكَّدَ من حُسْنِ استِضافَتِهِ بنفسِه، وأن يُقدِّمَ له مِكيَالَيْنِ منَ البيرةِ ومُستَلزَماتِها مِنَ الفَواكِهِ والحَلوى لتَثْرى قريحةُ الرجُل. وحَذَّرَه بألاّ يُشعِرَه بأنَّ التَكريمَ يَأتي من جِهةٍ رَسمِيَّةٍ؛ وهذا مُخالفٌ للقانونِ، بل أن يُقنِعَه بأنَّ صَديقاً مُعجَباً ببَلاغتِه قد كرَّمه وأصرَّ بأن يَشمُلَ هذا التكريمُ أُسرَتَه أيضاً.

وَاستمرَّتِ الحالُ ستَّةَ أيَّامٍ مُتَواصِلَةٍ، لاحَظَ الوالي بأنَّ الجُمَلَ أخذَتْ تُوهَنُ ويُصيبُها الركاكةُ. فعزَمَ أن يَبعثَ فيها الحَياةَ؛ فورَدَتْ إلى خَاطِرِه فِكرةٌ شَيطانيَّةٌ مَفادُها بأنَّ كلَّ عَبقريٍّ يَلزمُهُ مُحَرِّضٌ يَدفعُه إلى شَحْذِ فِكرِه وَاستِلْهَامِ أربابِ خَيَالِه.

فأمرَ الوالي بأنْ يُجلَدَ سختي لأيامٍ ثلاثةٍ على التَوَالي دونَ أن يُعطَى بذلك أيَّ تَفسير. وقد قَدَّر بأن الحالةَ الجديدةَ سوفَ تأتي بعباراتٍ زَخمةٍ وجُمَلٍ رَائعةٍ يَسْعَدُ لها الفرعَونُ، ويَضمَنُ هو الجلوسَ إليه، ولكنَّه لم يَنْسَ بأن يُوصِي بأن يكونَ الجَلْدُ رَفيقاً وليس **مُبرِّحاً**.

وهكذا قاسَى سختي المسكينُ ثلاثةَ أيامٍ متواليةٍ عَذَابَ الجَلْدِ، وأمعَنَ بدَورِه في استنباطِ أعذَبِ الكلامِ وأرقِّهِ وهو يَستعطفُ الوالي ويَستجيرُ بفرعَون.

وعندَما كان اليومُ التاسعُ عزَمَ سختي بدَورِه أن يَسْلُكَ مَنْحىً لم يَسْبِقْ أن طَرَقَ مِن قبلُ، وقد أَدهَشَهُ انقلابُ الوالي

عليه على هذه الصُورةِ الغَريبة: فمِن جِهَةٍ يَسُومُهُ العذابَ، ومن جِهةٍ أُخرى يُغرِقُهُ في الإكرَامِ.

وعندَما انعقدَتِ الجلسةُ قال سختي:

- مولاي!. حَطِّمِ المخاتلةَ والنِفاقَ بيدَيْكَ القادرتَيْن، وَانْصُرِ العَدالة! وَانْهَضْ بالطِيبةِ وعَزِّزْها، وَاسحَقْ قوى الشرِّ والشَيطان.

وكما يُبعثُ الرفاهُ في العيشِ منَ المجَاعةِ، وكَما تُغَطِّي الثيابُ العريَ، وكمَا تنجلي السماءُ بعدَ عَاصفةٍ **عَاتيةٍ بِتَبَدُّدِ** الغُيُومِ ليُبْعَثَ الدِفْءُ في عُروق الذين لسَعَهُم زمهريرُ البردِ القارس، وكمَا تَطبخُ النارُ الخضارَ الفجَّةَ، وكمَا يُطفىءُ الماءُ ظَمَأَ العِطَاشَ التائهين في الصَحراء، كذلكَ اجْعَلْ رحمتَك تَقْتَرِنُ بعَدَالَتِكَ!.

وانظُرْ إليَّ بعينِ العَطْف، وَأَدخِلْ إلى نَفسِي البهجةَ، وأَنصِفْني بِحَقِّي. فقد قاسَيْتُ الأمرَّيْنِ وطفَحَ بيَ الكيلُ بغيرِ ذَنبٍ اقترَفْتَهُ، أو ضَعْ حَداً لحياتي حتَّى لا أكونَ شاهِداً على أنَّ العدلَ والرحمةَ قد اضمَحَلاّ من مِصر.

وسادَ الصمتُ فَترةً من الزمنِ تبادَل خلالَها الوالي مع بعضِ مُستشارِيه الهَمْسَ، وخشيَ سختي بأنَّه سيَلقَى جَزاءً قاسياً جَرَّاءَ كلامِه المُتَمَادِي الذي شَنَّفَ به أُذُنَ الوَالي تِسعَةَ أيامٍ متوالية.

ولكنَّ الوالي ابتسَمَ وانفرَجَتْ أسارِيرُه فقالَ:

- لا تخشَ بأساً بعدَ الآن!. إنَّ العدالةَ راسخةٌ في هذا البلدِ ولسوف تُنصِفُكَ فتنقلبُ أَتراحُك إلى أفراحٍ وتَعَاسَتُكَ إلى رَفاهٍ.

فقد رفعتُ خِطاباتِك البليغَةَ كلَّها إلى سَيِّدِ مِصرَ ومَلِكِها الفرعونِ امينآمحات الثالثِ وقد سُرَّ بها وأَدخَلَتِ الفَرَحَ إلى قَلبه.

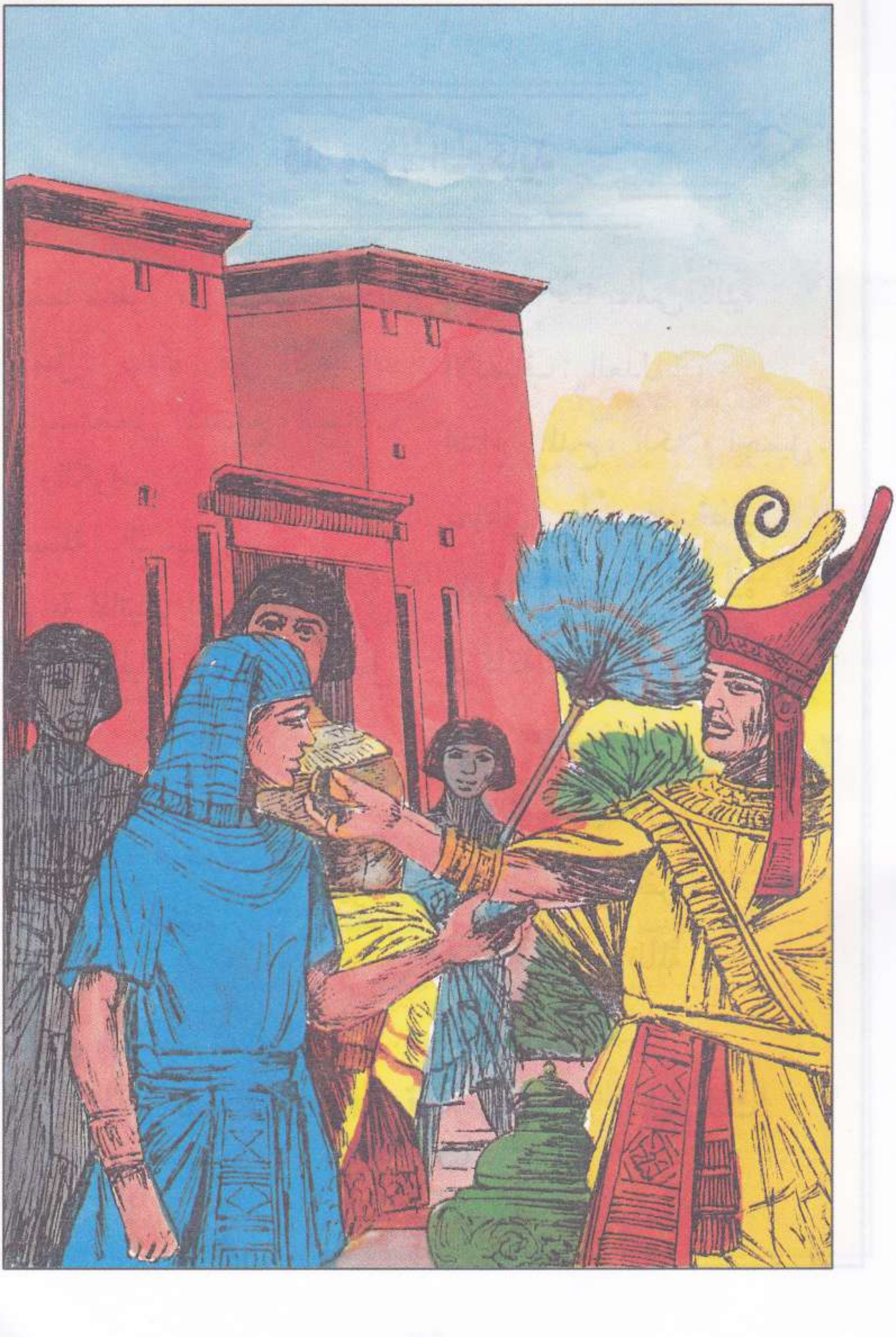
وقد أمرتُ لك بإعادةِ حميرِكَ الثلاثةِ بكامِلِ أَحمَالِهَا، ووهَبْتُكَ جميعَ مُمْتَلَكَاتِ حتمي الجَاحدِ، وعيَّنتُكَ أميناً لي بدلاً منه؛ فأَرْسِلْ في طَلَبِ أُسرتِكَ، وأَقِمْ في دارِكَ الجديدةِ هَهنا في «حَنين ستين».

أما البُشرى الكُبرى التي **أزفُّها إليكَ** فهي قبولُ سيِّدِنا فرعون مصرَ بمثولِكَ بينَ يدَيْه الليلةَ.

وعندَ المَسَاءِ كانَ الوالي يَصحبُ سختي؛ فَدَخَلا سويَّةً على فِرعَون، ومَثُلا أمامَ عرشِه ولقيَا منهُ الترحيبَ. وردَّ سختي بخِطابٍ أطنبَ فيه وأجادَ، بل وحَلَّق عالياً في سَمَاء البلاغةِ **الرحبِ**، وذابَ سَيِّدُ مصرَ نشوةً لرِقَّةِ العِباراتِ ورَوْعَتها. فشمَلَهُ برعايتِهِ وأَغدق عَليه خِلعةً سَنِيَّةً، وأمرَهُ بالحضُور بمعيَّةِ الوالي عندَ نهايةِ كلِّ أُسبوعٍ مساءً لقضاءِ سَهرةٍ عامرةٍ في قَصرِهِ. وشرَطَ عَليه أن يتزوَّدَ في كلِّ مرَّةٍ بخِطابٍ يفوقُ بلاغةً سَابِقِهِ.

وهكَذا نالَ سختي الحظوةَ في بَلاطِ فرعون وعاشَ سَعيداً مُحَاطاً بمظاهرِ الثَراء ونفيسِ الرياشِ هو وأسرتُه.

فيما رُمي حمتي بين الفَلاَّحِينَ، وصَار في جُملتهم يكدُّ ويشقَى ليظفرَ بقوتِه ولقمةِ عيشه، مغمورًا محتَقَراً في تلكَ النواحي من دِلتا النيل.



قاموس الحكاية

ميمّما شطرَ: متوَجِّهاً نحو...

الأَسَل: نباتٌ رقيق الأغصان يستعمل لصنع السلال والكراسي.

البَسِيلة: الترمس.

الترعة المائية: القناة التي تجري فيها المياه، كانت تستعمل للريّ.

أذعن: خضع.

مكيدة: فخّ، شرك.

لا تُحمد عقباه: لا تُشكر نتيجته.

سَمُوعُ الكلمة: مُحترَم الرأي.

استبدَّ الغرور به: تملّك منه.

متهدِّل: هنا بمعنى باكٍ.

الإنصاف: العدل.

الثناء: المدح، الكلام الجميل.

يماطل: يتأخّر عن قَصْدٍ.

الفذّة: الفريدة، الوحيدة

الركاكة: الضعف.

توهن: تضعف.

مبرَّحاً: شديد الإيلام.

تبدَّد: تشتَّت، تفرَّق.

عاتية: قوية، ظالمة.

الرحب: الواسع.

أزفُّها إليك: أنقلها إليك.

أسئلة

١ - في فَهْم الحكاية

١ - مَنْ هو سختي؟ ومَنْ هو حمتي؟

....

....

٢ - ماذا كان يحمل سختي إلى الأسواق؟

....

....

٣ - ما هي سيِّئة حمتي؟

....

....

٤ - لماذا ضرب حمتي كفاً على كفٍّ عندما رأى سختي؟

....

....

٥ - لماذا راح موظَّف الوالي يضايق المواطن سختي؟

....

....

٦ - إلى مَنْ لجأ سختي المظلوم ليعرض ظلامته؟

....

....

٧ - بمَ كان يتميّز سختي في كلامه؟

....

....

٨ - كيف كان خطابه للقاضي أول الأمر؟

....

....

٩ - هل بقيت بلاغة سختي محصورة بينه وبين القاضي؟

....

....

٢ - في اللغة والتعبير

١ - أعطِ معاني المفردات التالية:

أحمال وافرة: .... أقاصيها: ....

الجشع: .... أُتخمت: ....

أذعن: .... قُصارى: ....

تعتدل: .... المتجاوزون: ....

نَهَرَهُ: .... ألوذ بالصمت: ....

٢ - ما الفرق بين:

- اعتدى: ....

- عدا: ....

- عادى: ....

٣ - ما معنى:

من الفجر إلى النجر: ....

رأى نجوم الظهيرة: ....

طب نفساً: ....

على أحرَّ من الجمر: ....

٤ - ما الفرق بين:

السير: ....

السرى: ....

٣ - في القواعد

١ - في المقطع الأول ص ٣ وردت «كان» مرتين، دلّ عليهما، واذكر اسم كل فعل وخبره.

....

....

٢ - في المقطع الأخير ص ٧، دُلَّ على الضمائر المتصلة واذكر محل كلٍ من الاعراب.

....
....
....

٣ - ما هي علامة البناء في كل فعلٍ مما يلي:

ذهبوا: .... عجَّلْنَ: ....
يُكرِمْنَ: .... أَحضِرُوا: ....
اذهَبَنَّ: .... تعالي: ....

٤ - ما هو مفرد الجموع التالية:

السنابل: .... النواحي: .... أحمال: ....
تُرَع: .... حبائك: .... شراشف: ....
بضائع: .... الأيامى: .... الأرامل: ....
الحزانى: .... اليتامى: .... أسارير: ....

٥ - اعرب ما يلي: انتُزِعتِ الأموالُ التي تفرضها الدولة. لا يكلِّفني عناءً.

سِلسِلة حِكايات السَّمَر

تَغُوصُ في التَّاريخِ، تُحيي شَخصيَّاتِهِ، في سِيَاقٍ قَصَصِيٍّ مُمْتِعٍ رَاعَيْنا فيه قُدرَةَ الوَلَدِ على الاستِيعَابِ، لُغةً ومعلوماتٍ، لإيصاله إلى استِنتاج العِبَرِ التي يتحرَّكُ الأشخاصُ بوَحْيِها. وقد رَبَطْنَا كلَّ قِصَّة بواقِع التحصيل المدرسيِّ فألْحَقْنَا بها قاموساً للمفرداتِ وأسئلةً متنوِّعةً تحرِّك الذهنَ، وتدفعُ الولدَ إلى التفتيش والتقصِّي.

تتضمّن هذه السلسلةُ العناوينَ الآتية:

١ - شنُوحي المغامر
٢ - صَولجانُ فرعون
٣ - بَلاغةُ فلَّاح
٤ - التاجرُ الجاسوسُ
٥ - عنفوانُ المروءة
٦ - القائدُ المؤمنُ
٧ - الشقيقُ الماكرُ
٨ - اللِّصُّ والعجوزُ
٩ - عاقبةُ الظالم
١٠ - سلطانُ الصبر
١١ - طيشُ المترَفين
١٢ - اللِّصُّ الظريفُ دُكين
١٣ - الوفاءُ كنزُ الصداقة
١٤ - جاحِدُ النعمةِ
١٥ - العُودُ الهنديُّ
١٦ - جاسُوسُ الخليفة
١٧ - الأميرُ وابنُ النبيل
١٨ - العيَّار والمُغَفَّلون
١٩ - صُدْرَةُ الملوك
٢٠ - غرائبُ الصُّدَفِ